

المراسلات والأنباء



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

سفر بغداد والخليفة المستعصم على منمنمة من تبريز

بقلم
الدكتور بوخارد برنتيس
استاذ الاثار الشرقية

تعريب
الدكتور فوزي رشيد
مدير المتحف العراقي



الخليفة المستعصم بن ازاهير مع مرافقين •
ابسيروغلو تحت عنوان « سراي البتين
Saray-Alben » هي الاجزاء الديرسية - Diez'sche
الملصقة (*) من مجموعة برلين (فهرست المخطوطات
الشرقية في المانيا ، المجلد الثامن ، مدينة فيسبادن
1964)⁽¹⁾ وتحتوي هذه الاجزاء المتألفة في مجموعها
من منمنمات صينية ومغوليسة على صورتين

هذا ويرى ابسيروغلو في هذه المنمنمات
تصويرات لجانب اغلفة كتاب جامع التواريخ واقترض
في حكمه عليها بان هذه المنمنمات هي تصوير لتاريخ
المغول (انظر كتاب التصوير المغولي ص 44) • هذا

ان مجموعة الاجزاء التي نشرها م.س •
ابسيروغلو تحت عنوان « سراي البتين
Saray-Alben » هي الاجزاء الديرسية - Diez'sche
الملصقة (*) من مجموعة برلين (فهرست المخطوطات
الشرقية في المانيا ، المجلد الثامن ، مدينة فيسبادن
1964)⁽¹⁾ وتحتوي هذه الاجزاء المتألفة في مجموعها
من منمنمات صينية ومغوليسة على صورتين
يبدو أنهما تحتويان على مشاهد توضح حصار
وسقوط مدينة بغداد عام 1258 م • الاولى (منشورة
في " Diez A, Fol. 70, S. 4") وتحتوي على
مشهد يصور اخر خلفاء بني العباس في بغداد وهو

1 - Verzeichnis der orientalischen Hand-
schriften in Deutschland. Bd. VIII, Wies-
baden 1964.

(*) المقصود بالملصقة هو ان تصاوير الاجزاء
ليست من صلب اوراقها وانما لصقت عليها •

كان على ابيروغلو ان يقصر آراءه على ما هو موجود على المنمنمات فقط - سنعود الى تراجعه عن افتراضه الاول - رغم انه قد لفت النظر الى الصورة المبرهنة حقاً لافتراضه الاول والمنشورة في " Diez A Fol. 70 S. 4 " حيث يقول

بخصوصها : « نرى فيها شكلاً يشبه القارب ينساب في النهر . والعصائم المخططة مع الشريط الطويل المتدلي على الرقبة تشير الى ان من هم في القارب مسلمون وصورة الشخص المرسوم في الوسط تبدو أنها صورة الشخصية الرئيسة للمجموعة الموجودة في القارب . والمرافقون لهذه الشخصية يرتدون ملابس ذات طراز بغدادى وذلك لوجود الاشرطة المطرزة على الاكمام ، »

كلا الصورتين ترينا محاربين بالزري المغولي يقفون امام مدينة محصنة مبنية بالطابوق وتقع على جانبي النهر . والمنمنمة التي لا تحتوي على القارب ترينا معركة ما زالت مستعرة اما الصورة الثانية فيبدو انها تصور لنا ما حصل بعد انتهاء المعركة مباشرة . ففي الواجهة نشاهد موسيقيين وبعض من حملة الأقواس الذين ما زالوا يقاتلون وربما مهمتهم هي مقاتلة القارب الذى يقل اشخاصا ليسوا من المغول وهذا يعني ان الاشخاص الموجودين في القارب لابد وانهم في نهاية الدور المهم الذى لعبوه امام احتلال مغول ايران للسدينة ولهذا السبب فقد صوروا بشكل متميز على المنمنمة .

هذا وان الـ "SI SHI K1"

تحتوى على التقرير الذى يخبرنا عن رحله

المنسوب الصينى "Mangu Chans Ch'ang Te"

وقد اشار ابيروغلو في مجلد « سراي البين ص ١٦ » الى عدم وجود شروح لهذه الاجزاء ، ويفضل ان تبقى اشارة ابيروغلو هذه كتخمين كما ويجب ان لا يشك في جوهرها .

واضافة الى ذلك فان مجال التناقض ضعيف جدا عند مقارنتها مع مخطوطة من اسطنبول متضمنة سجل تواريخ رشيد الدين ، السجل الذى استتج منه تاريخها ونسبتها الى مدينة تبريز ، ومع هذا يجب ان تجرى المحاولة لتفسير هذه المنمنمات وذلك من خلال ملاحظة الـ "SI SHI KI" واعتبارها خلفية كتابية . وعلى هذا الاساس يفسر مغزاها اي الـ "SI SHI KI" على غرار ما هو مذكور في عنوان هذه المقالة .

لقد سبق وان افترض ابيروغلو بانه من المحتمل ان تكون لهذه الصور علاقة بمدينة بغداد . وقد اعتمد في افتراضه هذا على الصور فقط ، ولذا فقد كتب يقول : « من خلال بعض الملامح الموجودة على المشاهد المصورة تذكر طوبوغرافية موقع مدينة بغداد التي بسبب نهر دجلة قد انتشرت الى قسمين . ففي القسم الشرقي من المدينة تتواجد منذ فترة الخلافة الابنية المهمة والقصور ... وبسبب هذه الملاحظات الموجودة في كلا المشهدين يجب ان يتعلق الموضوع بصورة مدينة بغداد . فاذا صح هذا الافتراض فلا يعوزنا الشيء الكثير من أجل ان نرى في هذه الاوراق مشاهد حصار بغداد من قبل المغول . غير ان هناك مدناً اخرى تقع على نهرٍ ولذا فقد صار الامر ممكناً ان تتعلق هذه المشاهد بمكان آخر » (انظر (Saray - Alben, S. 17).

ومما تقدم يمكن تمييز مرحلتين الأولى خاصة بالقتال من أجل احتلال القسم الغربي من المدينة والثانية الاستيلاء على القسم الشرقي ومحاولة هرب الخليفة المستعصم بقارب في نهر دجلة • واحداث المرحلة الثانية مصورة على ما يبدو على المنمنمة (المنشور في 4 S. 70. Fol. A Diez).

هذا وان شك اسيروغلو قد يتأيد لو كانت فقط مدينة واحدة مصورة على النهر • اذ عند سقوط احدى المدن يلعب هرب الشخصية البازرة بالقارب دورا رئيسا لان مثل هذا الحدث قد يكون فريدا من نوعه • ولذا فان كلا الصورتين لهما علاقة بسقوط مدينة بغداد ، والصورة الوسطية في القارب هي صورة الخليفة الاخير المستعصم بن ازامير (١٢٤٢ - ١٢٥٨ م) الذي قبض عليه في العاشر من شباط من عام ١٢٥٨ م واعدم في ٢١ من شباط من نفس السنة •

من الجائز ان يكون هذا المشهد هو المشهد الوحيد المتعلق بالمأساة ولذا فهو يستحق منا الاهتمام رغم ان ملامح الوجه مسوحة - لم يتوفر للمؤلف سوى النسخة المصورة عن الاصل •

كلا المنمنمتين تعرضان لنا زعماء الثورة المغولية والمصورين في وسط المنمنمتين وعلى الجسر ومن المحتمل ان صورة الشخص الامامي هي صورة هولوكو نفسه •

والسؤال الذي لا يمكن ان نجيب عليه الا بالفرضيات هونوعية العلاقة ما بين "SI. SHI. K1" والنص الشارح المفقود للمخطوطة التي تتسبب

المرسل الى هولوكو والذي طبعه E. Bretschneider في "Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources" (فصاصات لها علاقة بالمعلومات الخاصة بجغرافية وتاريخ وسط وغرب اسيا للفترة من القرن ١٣-١٧ م ، لندن ١٨٨٨ ص ١٢٢-١٥٦) •

في هذا المؤلف التقرير التالي عن سقوط بغداد عام ١٢٥٨ م وعلى ما يبدو ان التقرير موضوع من قبل شاهد عيان : « في عام ١٢٥٨ م قد اخذت ملكية بغداد (= Bao-da) التي تمتد من الشمال باتجاه الجنوب بـ ٢٠٠٠ (ii) والملك يحمل لقب خليفة (= Ha-li-fa) . المدينة كانت مقسمة الى جزئين غربي وشرقي ونهر عريض يمر من بينهما • المدينة الغربية • بلا اسوار بينما المدينة الشرقية كانت محصنة والاسوار كانت مبنية بالطابوق الكبير الحجم • والجزء العلوي من الاسوار كان يحتوي على نقوش رائعة •

عندما اقترب الجيش الجرار بالقرب من الاسوار بدأت المعركة واحرز نصرا كبيرا على ٤٠٠٠٠٠ رجل • في بادئ الامر تم الاستيلاء على القسم الغربي من المدينة وتقتيل السكان وبعدها استمر الجيش بالاستيلاء على القسم الشرقي من المدينة • وبعد ستة أيام عاصفة بالحرب سقط القسم الشرقي وقتل عشرات من الالوف والخليفة حاول الهرب بواسطة القارب الا ان القبض قد تم عليه • • • • •

(انظر

(E. Bretschneider, Mediaeval Researches S. 138

قبورها ولهذا السبب فقد شاهدها هرتسفيلد (انظر التقرير الاولي عن حفريات سامراء ١٩١٢ ص ٢٠) (= E. Herzfeld Erster vorläufiger Bericht über die Ausgrabungen von Samarra, Berlin 1912 S. 20).

وبذا تكون هذه الصورة كذلك تصوير لاحتلال العراق من قبل المغول .

التصاویر

١ - حصار بغداد وهرب المستعصم - منمنمة صينية مغولية من مدرسة تبريز مأخوذة من مجموعة الاجزاء الديتسية "Diez A, Fol. 70. S. 4" ومنقولة عن « اللوح الخامس »

"Ipsiroğlu, Saray-Alben, Wiesbaden 1964

٢ - القتال حول مدينة بغداد - منمنمة صينية مغولية من مدرسة تبريز مأخوذة من مجموعة الاجزاء الديتسية "Diez A Fol. 70. S. 7"

ومنقولة عن (التصوير المغولي) .

M. S. Ipsiroğlu, Malerei der Mongolen München 1965 (صورة رقم ٨)

٣ - هولاکو داخل القبة السلطانية ؟ - منمنمة صينية مغولية من مدرسة تبريز مأخوذة من مجموعة الاجزاء الديتسية

"Diez A Fol. 72, S. 29" ومنقولة عن

M. S. Ipsiroğlu, Saray-Alben, T. XVIII, 24.

اليها المنمنتان . هذا ومن الممكن ان يستخدم تقرير المدوب الصيني او نص مشابه كاساس عند دراسة القسم المفقود حسب رأي ايسيروغلو من كتاب جامع التواريخ ذلك القسم الذي من اجله تم جمع هذه المقتطفات المختلفة والانية من مصادر مختلفة ايضا . وبالتأكيد كانت التقارير الخاصة بسقوط مدينة بغداد موجودة في تبريز .

ومحاولة تفسير المنمنتين من الاجزاء الرئيسية في هذا المجال واللتين تعرضان لنا تصويرات لسقوط مدينة بغداد تدفعنا الى ان ننسب اليهما صورة ثالثة من نفس الاجزاء الديتسية . وهذه الصورة الثالثة ترينا شكلاً غير اعتيادي لمرقد منظور اليه من الاعلى يحتوي على اربعة قبور وعلى شخصين متأملين عند المدخل واحدهما قد اعتبر حاكماً

Diez A, Fol. 72, S. 21, Ipsiroğlu, Saray (-Alben, T. XVIII, 24

واذا ما حاول المرء تركيب اجزاء هذا البناء المزين سيحصل على مرقد ذي قبة على طراز القبة السلطانية التي عثر في داخلها على رفاة ثلاث خلفاء هم : المنتصر ، المعتز والمهتدي . هذا ولم يعرف ولم يذكر لحد الان على مرآقد مشابهة .

ومما يجدر ذكره في هذا الخصوص ربما تصور هذه المنمنمة الثالثة هولاکو وهو داخل القبة السلطانية التي حافظ المغول خلال غزوتهم على